برّ الأمان

قصص قصيرة

برّ الأمان

حوريّة تولد من جديد 5

كنوز الريف 7

المرأة المنقذة 9

قصة تنشئة 11

رياح التغيير 13

كطائر الفينيق 15

معركة داخلية 19

من عالم الهندسة إلى مفاهيم حماية الطفل 23

عندما يلتقي الشغف بالمعرفة 25

وردة الصحراء 27

سلاح المعرفة 29

خبيرة المستقبل 31

إهداء

إهداء لكل من ساهم بإنجاح هذا البرنامج؛

لمن تطوّع ليقرّب المسافات، ويبني المساحات المشتركة على أمل تغيير حياته وحياة من حوله؛

لمن وقف بوجه التحديات بحثاً عن ذاته من جديد؛

ولمن شاركَنا، بكل قوة، قصةً قد تكون سبباً في إلهام الآخرين...

عن البرنامج

نفذت هيئة أجيال السلام برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» بالشراكة مع البرنامج الأوروبي الإقليمي للتنمية والحماية لدعم لبنان، الأردن والعراق (RDPP II) وهو مبادرة أوروبية مشتركة بدعم من جمهورية التشيك، الدنمارك، الاتحاد الأوروبي، إيرلندا وسويسرا.

عمل البرنامج على رفع كفاءة ٢٦ عضواً من أعضاء الفريق الأساسي بوزارة الشباب حول مواضيع الحماية، والعنف القائم على النوع الاجتماعي، والذين بدورهم ساهموا بتعزيز قدرات فريق عمل الوزارة للتعامل مع طرق تحديد الحالات والإحالة وبرتوكول الحماية الخاص بالوزارة، الذي تم تطويره مؤخراً كجزء من البرنامج.

أنشأ البرنامج الهياكل التنظيمية، ومهّد الطريق أمام اللاجئين المستضعفين والشباب في المجتمعات الأردنية المستضيفة للالتقاء والظهور، وتحديد القضايا المحلية المتعلقة بالنزاع العنيف الناشئ في ضوء أزمة اللاجئين السوريين.

تم تنظيم ٢٢ تدريباً إقليمياً في ثلاث عشرة مديرية تابعة لوزارة الشباب، تلقّى خلالها ٣٢٠ عضواً من أعضاء فريق عمل الوزارة تدريبات حول مواضيع البرنامج الرئيسية. وبهدف تطوير قدرة الشباب السوري والأردني على تنفيذ أنشطة الدعوة من أجل السلام في مجتمعاتهم، ساهم البرنامج بتوعية وتدريب ٦٠ متطوعاً ومتطوعة، والذين بدورهم نقلوا معرفتهم ل ٣٠٠ شاب وشابة في أربع محافظات (عمّان، إربد، المفرق، والزرقاء)، حيث تم إشراكهم في ١٢٠ جلسة مستمرة حول كسب التأييد من أجل السلام، و٢٠ فعالية مجتمعية، كما شاركوا في تقييمات احتياجات المجتمع، كل ضمن مجتمعه؛ بما يضمن ترك بصمة إيجابية ومستدامة في حياتهم.

وبالإضافة لذلك، تلقّى ٨٠ مركزاً تابعاً لوزارة الشباب منحاً صغيرة لدعم البرامج المتعلقة بالحماية بقيادة الموظفين، كما تم دعم ١٠ مراكز منها بمنح أكبر لتخصيص مساحات آمنة، تُقدّم تدريبات وأنشطة شبابية لروّادها، بما يساهم في تحسين الظروف المتعلقة بالحماية والتماسك الاجتماعي للأطفال والشباب في مجتمعاتهم.

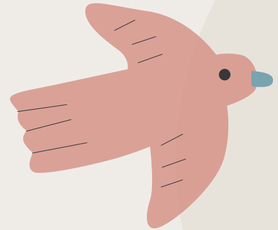

حوريّـة تولد من جديد

«ما زال صوت الطائرات يثير الرّعب في نفسي».

كانت هذه الكلمات التي نطقَت بها عندما غطت كلتا أذنيها إثر مرور الطائرة فوقها. تدعى بطلة قصتنا حوريّة، الفتاة ذات ال ٢٣ عاماً التي فرّت إلى الأردن بعد اندلاع الحرب في سوريا. كانت تبلغ ١٥ عاماً عندما جاءت حاملةً مشاعرها المشحونة وصدمات الحرب من موطنها في مدينة حمص لتصبح لاجئة في مخيم الزعتري، لتنتقل بعدها إلى عمّان، ومن ثم إلى الزرقاء، حيث استقرّت برفقة عائلتها.

لكن حوريّة لم تستقر حقاً، ففي كل يوم أمضته باحثةً عن وطنٍ لها في الأردن بعيداً عن موطنها سوريا، كانت تسقط أكثر وأكثر في هوّة اليأس. لم تقتصر مشاكل التأقلم التي واجهتها حوريّة على القلق ما بعد الصدمة، والفوضى، والندوب التي حفرتها الحرب في روحها الشابّة، بل كان عليها مكافحة الشعور بالرفض وعدم الانتماء. شعورٌ عاشته حوريّة في مدرستها، في السوق، أو حتى عندما كانت تمشي في الشارع، وقد أثقلها شعور الرفض إلى أن فقدت الرغبة بالحياة. «كنتُ أجلس في سريري كل ليلة وأتمنى ألّا أستيقظ في اليوم التالي». أصبح النهوض من السرير كلّ يوم بمثابة معركة بالنسبة لحوريّة، رافقها شعورٌ بالخوف مما قد تحمل لها الأيام القادمة التي ستقضيها

وحيدة، وكلما زاد انعزالها، تراجع أداؤها الأكاديميّ أكثر. غمرتها موجةٌ من الاكتئاب أوصلتها إلى شعورٍ بالخدر، ورغم ذلك، تمكّنت من إنهاء الثانوية، لكن من دون تكوين أي صداقات.

اندثرت أحلامها بالحصول على شهادة جامعية مع كل رسالة رفضٍ تلقّتها، أضف إلى ذلك التنمر الذي تعرضت له حوريّة رغم ترحيب المجتمع والحكومة الأردنية باللاجئين. فاقمت حقيقة أنها ذات أصول سوريّة في مجتمعٍ أردنيّ من شعورها بعدم الانتماء، لكنها رغم ذلك أصرّت على المشاركة في أي فرص للتدريب نظمتها مؤسسات المجتمع المدنيّ. الشعور بالوصمة كان لا يزال موجوداً حتى في التدريبات ومراكز الشباب، كما لاحقها شعور، أينما كانت، أن هنالك تقويض للاجئين. «لم أفهم قط سبب النبذ رغم كوني وعائلتي ودودين جداً». لم تستسلم حوريّة رغم الشعور بعدم الترحيب، واستمرّت في الحضور إلى التدريبات على أمل أن تجد مكاناً لها.

بدأت حوريّة بإبصار النور في آخر هذا النفق بعد انضمامها إلى برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» الذي نفذته هيئة أجيال السلام. انتابها شعور بالارتياح خلال التدريب الأول عندما اكتشفت أن المدربين، الميسّرين، والمشاركين هم مزيج من الأردنيين والسوريين، الإناث والذكور. غدت أكثر تفاؤلاً إثر ملاحظتها لكيفية عمل المدربين والميسّرين معاً كفريق واحد، وأعاد مستوى الاحترام المتبادل إيمانها وأملها في العثور على نفسها مرة أخرى والشعور بالقبول. لقد اشتعلت في داخلها الآن شرارة كانت قد اختفت لسنوات، «كان أمراً أشبه بحلمٍ ضائع... أن أجدَ الفتاة الاجتماعية، المبدعة والمحبة للحياة التي كنت عليها سابقاً».

عرفَت حوريّة منذ اليوم الأول أنها ستكوّن تجربة مختلفة وذلك بسبب شغف المدربين بالمواضيع وطريقة تفاعلهم مع المشاركين، حيث كانت المرة الأولى التي شعرت فيها أنها موضع ترحيب!

«شعرتُ أخيراً أن صوتي مسموع، حتى لو كنت على خطأ. شعرتُ وكأنني طفلٌ قد عثر على موطنه».

في مثل هذه البيئة المضيافة وجدت حوريّة ملجأً لها، وأصبحت يوماً بعد يوم أكثر حرصاً على المشاركة والكشف عن شخصيتها الحقيقيّة. كانت تلك المرة الأولى التي تختار فيها الجلوس على طاولة بين الأردنيين بدلاً من البحث عن أقرانها من السوريين، كما استعادت ثقتها في التعبير عن رأيها والتحدث علناً. كان شعورها أشبه بأنها وُلدت من جديد وأن روحها قد انتُشِلَت من تحت أنقاض حياتها المنهارة. «لامستْ كلّ كلمة قالها المدربون قلبي قبل أن تصل إلى عقلي».

الآن وبعد إتمام ٣٦ ساعة من التدريب، تؤكد حوريّة أنها أكثر ثقة بنفسها من أي وقتٍ مضى. «أشعر الآن بالثقة عند التحدث أمام حشدٍ كبير من الناس من دون الحاجة لوجود نصّ مسبق، كما أشعر أنني أستطيع التعايش داخل أي مجتمع محلي». تعطي حوريّة حالياً دروساً خصوصية لطلبة الصفوف من الأول وحتى السابع كمصدر دخل إضافيّ، كما أنها متطوعة مع منظمات غير ربحية، حيث تجري تدريبات على المهارات الحياتيّة. تصرّ حوريّة على تطوير نفسها واغتنام كل فرصة متاحة، والآن تأخذ دروساً في اللغة الانجليزية ومهارات الحاسوب حتى تحقق حلمها بالحصول على شهادة جامعية في تكنولوجيا المعلومات.

كنوز الريف

«سئمت من الصورة النمطية المرتبطة بأهل المناطق الريفية»، هذا ما قاله محمّد معبّراً عن أفكاره ومشاعره الرافضة للواقع. يعتقد الشاب صاحب الـ ٢٤ عاماً والقادم من قرية سما السرحان في محافظة المفرق أن النظرة السائدة عن سكان المناطق الريفية تمر تأطيرها بصفات الرجعية والبدائية، وهو ذات الانطباع الذي ينتابه عندما يتعامل مع أبناء المدن. ولعلّ تلك النظرة المشوبة بالأخطاء والأفكار المسبقة هي التي دفعت محمّد لمواصلة العمل التطوعي من أجل تغيير هذه العقلية وعكس صورة إيجابية عنه وعن قريته.

نَشِطَ محمّد في مجال خدمة المجتمع لسنوات، مغتنماً كل فرصة متاحة، ومدفوعاً برغبته بالتأثير في مجتمعه وكسر الصورة النمطيّة. ولكونه رياضياً، عمل كمدرب لياقة بدنية للشباب من ذوي الاحتياجات الخاصّة في مجتمعه، حيث كان يجري تقييماً مبدئياً للياقة المشاركين قبل وبعد التدريب. لكن النظرة السلبية تجاه مجتمعه لم تكن قادمة من الغرباء فحسب، بل امتدت أيضاً لتشمل أهل قريته، مما أصابه بالإحباط، حيث كان أهل قريته يعيشون حالة يأس، ولم يؤمنوا بإمكانية التغيير، وقد حطّوا من شأن محاولاته وعمله الدؤوب تجاه تغيير هذه النظرة. لطالما قوّض الناس من جهود محمد وطموحه بمستقبلٍ أفضل، ورغم إدراكه حسن نواياهم، إلا أن الشعور بالإحباط بسبب هذه التحديات هو ما سيطر عليه بشكل كامل. لم ينجح محمد في التخلّص من الإشارات السلبية لمجتمعه رغم محاولاته الحثيثة لتجنّبه، حتى أنه توقف عن رؤية أصدقائه وشعر بالعزلة في بعض الأحيان.

«لقد أرادوا الاستقرار فقط، أما أنا فقد رغبت بتغيير العالم».

لم يبنِ محمد آمالاً عاليةً لدى انضمامه لبرنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» الذي تنفذه هيئة أجيال السلام، بسبب عقلية مجتمعه الانهزامية، ووجد بأن التغيير يحتاج إلى مقاربة الأمور من منظور إيجابي. وقد سعى إلى تطوير مهاراته لخدمة مجتمعه بشكل أفضل،

وأصبح متفائلاً بمجرد أن التقى بالمدربين وموظفي البرنامج وأعرب عن إعجابه بالتزام المدربين بالتفاعل وتشجيع المشاركين. نشأت نوع من الصداقة بين محمّد والمدربين وأصبحوا بمثابة مرشدين له. «كنتُ أنهي عملي، أحتسي قهوتي، وأتوجّه إلى البرنامج قبل ساعة من الوقت لأتبادل أطراف الحديث مع المدربين. لقد تأثّرتُ بهم، وأعجبتُ بالطاقة الإيجابية التي أضافوها إلى المكان». وجد محمّد في المساحة الآمنة التي وفرها البرنامج أشخاصاً مشابهين له ممن لديهم الدوافع والرغبة في دعمه وإلهامه.

«انضممتُ إلى البرنامج بهدف اكتساب مهارات جديدة وبناء شبكة علاقات مع أشخاص أتشارك معهم منطلقات التفكير، ويمكنني التأكيد أنني قد حققت هدفي». وسرعان ما شعر محمّد أن كادر البرنامج والمساهمين أصبحوا بمثابة عائلته الثانية. استمتع الشاب الطموح بتبادل الأفكار أثناء المناقشات، وأبدى اهتماما خاصاً بتعلم مهارات الدعم الجديدة. وشارك في تدريبات كسب التأييد للسلام، آملاً توسيع معرفته في هذا المجال، والاستفادة من المعرفة والمهارات التي اكتسبها من البرنامج في دمج الرياضة لحل المشكلات المجتمعية مثل العنف. وبدورها، شكّلت أنشطة التعارف واحدة من الأنشطة المفضلة لدى محمّد، ووجد فيها أداةً من شأنها تمهيد الطريق أمام مجتمعه المُحافِظ ليصبح أكثر انفتاحاً بشأن الصداقات بين الذكور والإناث.

بقيت كلمات التشجيع التي نقلها المدربون إلى محمد تتكرر في عقله بشكل مستمر، ويقول في هذا الصدد: «لا يمكنني أن أنسى نظرة المدرب خالد الفخورة وهو يتابعني خلال عرضي التقديمي في البرنامج، لقد شعرت بالكثير من الاعتزاز عندها». لقد أخبره ذلك المدرب بعد الانتهاء من العرض بكلمات لن تُمحى من ذاكرته، كانت عبارات مليئة بالثناء والتوقعات بمستقبل باهر.

والآن، يشعر محمد بالفخر تجاه المبادرة التي قادها خلال البرنامج، والتي وظّفت الرياضة في معالجة قضايا الصحة العقلية مثل الاكتئاب، والصحة البدنية، وإعادة تأهيل الشباب الذين يعانون من مشكلة الإدمان على الممنوعات. قاد محمّد فريقاً من أقرانه الذين يشاركونه نمط التفكير ذاته، وعملوا معاً على زيادة الوعي بالمشكلات التي حددتها مبادرته، وأوصوا بالحلول بناءً على استطلاع رأي تقييمي تم إجراؤه على مستوى المجتمع. حضر الفعالية التي نظمها محمد مع فريقه ٧٠ ضيفاً، من بينهم أعضاء في البرلمان ومحافظين ورؤساء منظمات المجتمع المدنيّ وممثلين عن وحدة مكافحة المخدرات. ويؤكّد محمد عزمه على مواصلة المسير نحو تحقيق هدفه، فيقول: «سأجمع بين شغفي ومهارات الدعم التي اكتسبتها خلال البرنامج لتوسيع مبادرتي والتأثير على المجتمع».

يتابع محمّد رحلته في تمكين الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصّة والشباب في مجتمعه. وقد حققت مبادرته نقلةً نوعيةً، حيث نجحت في استقطاب التمويل والتبرعات. كما يسعى الآن إلى إرساء الرياضة كأسلوب حياة في قريته ووسيلة لدمج الشباب ذوي الاحتياجات والمعرضين للخطر.

«عزّز البرنامج من ثقتي بنفسي وساعدني على التواصل مع الأشخاص المناسبين، الذين ألهموني للمضي قدماً لنشر السلام وتعزيز الاندماج».

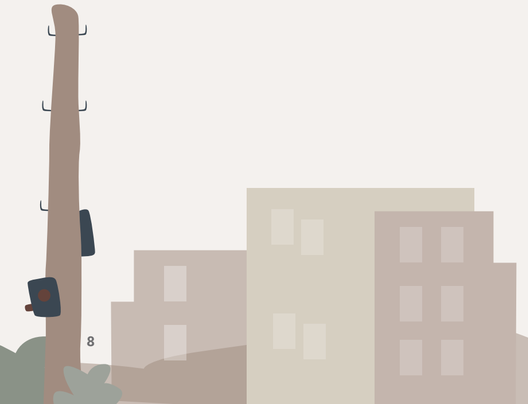

المرأة المنقذة

الحياة كلاجئ هي صراعٌ مستمرّ؛ أنت تكافح لتجد مأوى، لتوفر الغذاء، لتشعر بالأمان مرة ثانية، ولتحظى بحياةٍ كريمة. أما عن الفرص، فهي قليلة سواء في مخيمات اللاجئين أو في المجتمعات المضيفة. تاركين حياتهم السابقة خلفهم، يضطر اللاجئون لأن يبدؤوا من الصفر بكل معنى الكلمة، ولكنهم، ورغم الألم والغربة، ينجحون في إيجاد طريقهم مهما طال الزمن. مخلصة، ذات الـ٤٤ عاماً، تشكّل مثالاً آخر عن اللاجئ الذي يتحلّى بالقوة والعزيمة بحثاً عن مستقبل مشرق.

منذ ١٠ سنوات، أجبرت الحرب المندلعة في سوريا مخلصة على ترك البلاد، وفي الليلة التي فرّت فيها برفقة عائلتها كانت قريتها تحت قصفٍ عنيف لم يترك لهم أي خيار آخر سوى الرحيل نحو مستقبلٍ مجهول؛ وفي رحلةٍ مرعبة نحو الأردن، شقّت طريقها المظلمة برفقة أربعة أطفال. «لا يمكنني حتى أن أصف الرعب الذي عشناه في تلك الليلة، ناهيك عن الإنهاك الجسدي، في اللحظة التي رأينا فيها شرطة الحدود الأردنية، انهرت باكية ولم تعد قدماي تحملانني وسقطت أرضاً. أشكر الله على أنني تمكّنت وعائلتي من الوصول إلى ميناء آمن».

استغرق الأمر من مخلصة وعائلتها بضع سنوات حتى تمكنوا من الاستقرار في مدينة الرمثا التي يقيمون فيها الآن، لكن لم تكن أمور الحياة سهلة بالنسبة لها، حيث تفاقمت حالة زوجها الصحية ومشكلته في القلب في ظل غياب مصدر دخلٍ ثابت. «لقد مرّت أيّام لم نكن نملك فيها قرشاً واحداً في المنزل». عاقدةً العزم على إعالة أسرتها، بدأت مخلصة ببيع المخلّلات محليّة الصنع، حيث لاقت هذه الخطوة اهتماماً من جيرانها الأردنيين، الأمر الذي ساعد على زيادة مبيعاتها. كل ما كان يدور في رأسها عندما بدأت

العمل هو إطعام عائلتها، فلم يكن لديها نيّة في تحويل بيع المخلل إلى مهنة، ولم تجرؤ على الحلم بإمكانية توسيع عملها؛ لكن بعد ٧ سنوات، أصبحت مخلصة هي المعيل الأساسي لأسرتها ولأسرتيّ ابنها وابنتها أيضاً. «لم يكن الأمر سهلاً على الإطلاق، ولكني نجحت في إعالة عائلتي وإثبات شخصيتي المستقلة».

سمعت مخلصة لأول مرة عن برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» الذي تنفذه منظمة أجيال السلام من إحدى صديقاتها، وقد انضمّت على أمل أن تتعلم مهارات جديدة تسمح لها بتوسيع أعمالها ومساعدة الأشخاص من حولها. لم يمنعها كونها الأكبر سنّاً في البرنامج من الانخراط في الجلسات والأنشطة، ولم تفوّت أيّ جلسة، وكانت حريصة على تدوين كل الملاحظات.

وتقول في هذا الصدد: «انضممت إلى البرنامج لاكتساب مهارات من شأنها مساعدتي في تنمية عملي الصغير. لم أفكر مطلقاً أن البرنامج سيضفي على حياتي معنى آخر. لقد نسيتُ شخصيتي خلال السنوات العشر الماضية فقد كنت قلقة دوماً بشأن المستقبل، وإطعام عائلتي والاهتمام بزوجي المريض. لكن ومن خلال البرنامج تمكّنت، وللمرة الأولى، أن أنفصل عن مخاوفي ومسؤوليات الحياة اليومية للتعبير عن أفكاري، والأهم من ذلك كله استطعت أن أقدّر نفسي». قدّم البرنامج لمخلصة مناخاً ومساحةً لنفسها حتى ولو كان ذلك لمدة ساعتين في اليوم فقط، حيث كانت قادرة على الانفصال عن الواقع والتواصل مع ذاتها من جديد.

«من الرائع الشعور بالتقدير. كنت فخورة للغاية عندما شاركتُ قصة نجاحي مع بقية المشاركين. شعرتُ في البداية برهبة الوقوف والتحدث أمام الناس، لكن حالما شرعتُ بالكلام، تملكني إحساسٌ بالقوة والفخر، وجعلني الحضور أشعر وكأنني بين أفراد عائلتي».

وجدت مخلصة أيضاً الجلسات حول حماية الطفل ذات أهمية توعوية كبيرة، حيث لم يخطر في بالها من قبل أنها مسؤولة عما يراه أطفالها على الإنترنت، كما استفادت من التدريب على وسائل التواصل الاجتماعي والحاسوب بشكل كبير. «لا أقول أنني أصبحت خبيرة، لكن بإمكاني الآن تصفّح الويب والرد على الطلبات التي أتلقّاها على صفحة فيسبوك الخاصة بعملي». أما عن الخبرة التي اكتسبتها، فقد نقلتها إلى زوجها الذي أصبح يدير صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة بها.

واليوم، وصلت مخلصة بعملها إلى عمّان والعقبة ومحافظاتٍ أخرى، وعندما يزداد الطلب على منتجاتها تستعين بجيرانها من الأردنيين لمساعدتها. «يعاني جيراني من مشاكل مادية، وأحاول أن أدعمهم عن طريق طلب المساعدة في العمل. بالمقابل، يتلقون أجراً على جهودهم، مما يعود بالفائدة على الجميع». أصبحت مخلصة تثق بشكل أكبر بقدرتها على توسيع أعمالها ومساعدة مجتمعها في الوقت ذاته.

قصة تنشئة

تعي بلقيس ابنة ال ٢٨ عاماً لوجود التنمّر واللغة المسيئة بين الطلبة في المدارس من خبرتها كمعلمة سابقة في مدينة إربد، لكنها لم تدرك مدى انتشارها حتى شاركت في برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة»، الذي تنفذه هيئة أجيال السلام. صُدِمَت بلقيس عند معرفة الإحصائيات الفعليّة لانتشار اللغة المسيئة بين المراهقين، خاصةً في بلدتها الأم، المزار الشماليّ، وأدركت ضرورة إيجاد حل لهذه المشكلة. لم يكن التدريس مجرّد عمل بالنسبة لبلقيس، فقد كان طلبتها يمثلون أكثر من ذلك بالنسبة لها، فهُم في عينيها المستقبل والفرصة لغدٍ أفضل.

استقالت من وظيفتها كمدرّسة بعدما وجدت في طلبتها قابلية للمزيد من التطور، فتحررت من القالب المعتاد للنظام التعليمي لتبني أسساً جديدة لاستثمار القدرات. بدأت بإعطاء الدروس الخصوصيّة في المنزل، ومع استمرار توافد الطلبة إليها، قررت استئجار مكان خاص، وتوظيف ٣٠ معلماً؛ حتى تتمكن من تلبية زيادة الطلب على الدروس الخصوصيّة.

لم يقتصر حلم بلقيس على تطوير تلاميذها أكاديمياً، بل أرادت تطوير ثقافاتهم السلوكية والمجتمعية، وحتى تتمكن من تحقيق حلمها انضمّت إلى برنامج هيئة أجيال السلام. أرادت بلقيس إيجاد طريقة لمعالجة مشكلة العنف والتنمّر وكانت مهتمة بشكل خاص بدمج الشباب وحماية الطفل ومكافحة اللغة الحادّة بين الأطفال في كل مكان. على مدار البرنامج، تناول المدربون القضية بأسلوب ترك أثره في نفس بلقيس، حيث شدّد المدربون على فكرة أن الشباب ليسوا هم المشكلة، إنما هم القوة الدافعة القادرة على إحداث تغيير إيجابي في المجتمع. قلّة قليلة من الناس فهموا هذا الأمر، وكانت بلقيس سعيدة بالعثور على أشخاص يشاركونها نفس الآراء، وأدركت أن الشباب في الغالب يستخدمون لغة مسيئة بدافع الجهل والتقليد ببساطة.

تعلّمت بلقيس خلال البرنامج كيفية معالجة مشكلة اللغة المسيئة والتنمّر بين الشباب، كما استمتعت بالنقاشات على اختلاف مواضيعها، ووجدت أنه من المفيد سماع وجهات النظر المختلفة المتعلقة بلغة الشباب العنيفة، وكانت حريصة على تغيير سلوكهم ولغتهم من خلال الحوار.

«لا يجب لوم الشباب أبداً على تصرفاتهم، بل على افتقار المجتمع للإرشاد والتوجيه الذي يدفعهم لتبني سلوك غير سليم ». كما أضافت، «من خلال الجلسات المختلفة، تعلّمنا أساليب جديدة للنقاش والتفاوض ووجدتها قيّمة جداً في التواصل مع طلبتي».

«أدركنا من خلال البرنامج أن التغيير السلوكي يحتاج إلى دوافع، لهذا السبب بالذات أطلقتُ المبادرة لتشجيع طلبتي على الامتناع عن استخدام لغة عنيفة». هدفت بلقيس بمبادرتها إلى توظيف قيم التماسك الاجتماعيّ من خلال توفير الملابس المستعملة للمعوزين، وفي كل أسبوع كانت تختار أحد طلبتها لمساعدتها في توزيع الملابس للمحتاجين. «أذهلني التغيير الذي رأيته في سلوك الطلبة ولغتهم، حتى أنني لاحظت ذلك في الشارع المحيط لمركز التدريس».

واصلت بلقيس توظيف المعرفة التي اكتسبتها في التواصل مع طلبتها، كما نقلت هذه المعرفة إلى الأهل كلما سنحت لها الفرصة على أمل أن يُحدث تأثيرها فرقاً بشكل تدريجي. «لقد تحدثتُ مع طلبتي عن تقبّل آراء الآخرين واستخدمتها كأداة للقضاء على التنمّر». أدركت بلقيس أن الشباب يملكون فائضاً من الطاقة والوقت، الذي يجب ملؤه بالأنشطة البنّاءة التي من شأنها أن تحل المشكلات الاجتماعية.

كما بدأت عدة أنشطة لاصفيّة تتعلق بمهارات الخطابة والتواصل وأنشطة الرسم، ويمكن القول إن بلقيس قد انضمت إلى البرنامج لتحسّن من أدائها كمدرّسة، لكنها حصلت على أكثر من ذلك بكثير.

«على الرغم من أنني أتعايش مع السوريين الذين أصبحوا جزءاً من مجتمعي، إلا أنني لم أستوعب تماماً مدى معاناتهم وصعوبة حياتهم! لقد تمكنت من رؤية العالم من منظور مختلف. وأفضل ما في الأمر، رؤية كيف حاول المشاركون في البرنامج إيجاد طريقة للتعاون ومساعدة بعضهم البعض».

وجدت بلقيس أيضاً أنه من المفيد إدراك التحديات التي يواجهها أهل قريتها، ومن خلال البرنامج عرضت على إحدى المشاركات السوريّات وظيفة مدرّسة لغة إنجليزية.

تعمل بلقيس حالياً بلا كلل على توسيع أعمالها والوصول إلى المزيد من الطلبة، كما قامت بدمج العديد من الجلسات اللاصفيّة في مركزها حتى يتمكن الشباب من المشاركة في أوقات فراغهم. «نقلتُ المعرفة التي اكتسبتها من البرنامج إلى طلبتي وآمل أن ينقلوها بدورهم إلى عائلاتهم وأصدقائهم».

رياح التغيير

كان عليها الفرار من بلادها فيما كانت ما تزال ابنة ال ١٢ عاماً، ومنذ ذلك الحين، لم تعش عُلا ما يمكن أن تَعُدّه تجربة سهلة. لم تتمكن عُلا قط من الاعتياد على حياتها الجديدة في الأردن بسبب الخوف الذي لم يفارقها، وظلت متشبثة بالأمور المعتادة والثابتة، حيث وجدت سكينتها في الأشياء والأماكن التي تألفها، وهذا شكّل السبب لمعاناتها القاسية عندما غادرت موطنها في سوريا.

كان التأقلم صعباً للغاية بالنسبة لها، ورغم معاملة أقرانها اللطيفة إلا أن شعورها بالغربة لم يفارقها، وزاد تعرضها للتنمر من قبل مجموعة من الفتيات الوضع سوءاً، حيث ترك أثراً سلبيّاً على شخصيتها وأدائها الأكاديميّ. «رغم كوني من الطالبات المتفوقات، إلا أنني وجدتُ نفسي في موقف مأساوي يحدّ من قدراتي الاعتيادية ويمنعني من التصرّف على سجيّتي. كان الأمر أشبه بصراعٍ لا ينتهي، كنت أقرر كل ليلة ترك المدرسة لأعود وأبدّل رأيي في الصباح التالي». استمراراً في كفاحها، لم تستسلم عُلا أبداً وتابعت الحضور رغم التنمّر والخوف والارتباك.

لقد كانت مصممة على تحقيق طموحها في أن تصبح صيدلانية، لذلك اختارت القسم العلميّ في المدرسة الثانوية، لكن ولسوء الحظ، لم يتمكن أهلها من تحمّل النفقات، لذلك اضطرت للتخلّي عن حلمها واختيار قسم الفنون. على الرغم من أن التخلّي عن حلمها قد خلّف أثراً سلبياً عميقاً في نفسها، إلا أن عُلا كانت مصممة على متابعة تعليمها العالي، وبذلك أنهت المدرسة الثانوية بتفوّق وحصلت على منحة في جامعة الزرقاء. «لا توجد كلمات يمكن أن تصف سعادتي عند حصولي على المنحة».

انضمت عُلا إلى برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» الذي تنفذه هيئة أجيال السلام، بحثاً عن فُرص لتطوير نفسها والتعلّم. «شاركتُ في البرنامج لأنني رغبت باكتساب أصدقاء جدد وتعلّم شيء جديد، لكنني لم أتوقع أن يكون للبرنامج هذا التأثير الكبير عليّ»، بهذه الكلمات، وصفت عُلا تجربتها. كما أوضحت عُلا أنها كانت قد استمتعت كثيراً بالجلسات التي ركزت على قبول التغيير والقدرة على التكيّف، وتضيف قائلة:

«استفدتُ كثيراً من هذه الجلسات بسبب معاناتي السابقة في قبول التغيير والمضي قدماً. كان المدربون يلامسون أكبر مخاوفي في بيئة خالية من الأحكام المسبقة. شعرتُ أن صوتي مسموع وأن هنالك من يدعمني حتى عندما اعتقدت أن أفكاري ليس لها أي معنى».

ما زالت عُلا تعمل على تطوير طريقة تفكيرها لتقبّل التغيير كأمر إيجابي، بل واعتباره نعمة لا تُقدّر بثمن.

«لقد كانت الفكرة جذابة بالنسبة لي، فلم أفكر قط كم من المرهق أن تتمسّك بالأشياء وكم هو جميل أن تتحرر وأن تترك الماضي حيث ينتمي لتعيش لحظتك. تمسكتُ بالعديد من الأشياء طوال حياتي، حتى عندما حالفني الحظ لأحصل على منحة دراسية في التصميم الداخليّ، تشبثّتُ بحلمي في أن أصبح صيدلانيّة».

لم يكن قبول التغيير التحدّي الوحيد الذي أرادت عُلا التغلّب عليه، فبعد ذهابها إلى الجامعة، أدركت مدى توترها عند التحدث أمام حشد من الناس، وهو الأمر الذي حاولت تحسينه من خلال البرنامج. نجحت عُلا بذلك، وقد انعكس الأمر في جامعتها، حيث أصبحت تشعر براحة أكبر عند التحدث أمام الناس. «لقد شعرتُ براحة أكبر عندما قدمتُ عرضاً أمام المشاركين. الأهم من ذلك كله أن البرنامج قد منحني منظوراً جديداً لرؤية التغيير كفرصة ولأكون منفتحة وأتقبّل التجارب الجديدة».

كطائر الفينيق

قررت آمنة ابنة ٣٢ عاماً أن تواجه مخاوفها لتبدأ من الصفر كلاجئة في الأردن، وتنبعث مثل الفينيق من تحت رماد حياتها المدمرة.

وقد شكّل اندلاع الحرب في بلدها سوريا نقطة تحوّل في حياة آمنة التي اتسمت بالسكينة والنجاح والتفوّق الدراسيّ، لتصبح حجرة عثرة في مسار حياتها وتعليمها، إذ لم تستطع العودة إلى المدرسة إلا منذ عامين.

يعكس جوهر اسمها المنطوي على الإيمان شخصيتها المؤمنة بالله، بنفسها، وبإمكانياتها، فآمنة لم تفقد إيمانها بنفسها على الرغم من المعاناة والصعوبات التي واجهتها مع انتقالها رفقة عائلتها إلى الأردن في عام ٢٠١٣، وعيشهم في دار للأيتام حتى استقروا أخيراً في مدينة الزرقاء. «كان عليّ استيعاب فكرة أن هذه حياتي وواقعي الجديدين. كان يجب عليّ تقبّل الأمر والتعامل معه لأقف مرة أخرى على قدميّ». لم يكن ذلك سهلاً على آمنة، لكنها أدركت أنها لا تملك خياراً آخراً.

مع عودتها إلى مقاعد الدراسة، تفوقت آمنة كعادتها دوماً. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها، حصلت على عاشر أعلى معدّل في نتائج امتحانات الثانوية في مدرستها ومنطقة الرصيفة، لتحصل بعدها على منحة دراسية من جامعة الزرقاء حيث درست اللغات والترجمة. تحولت آمنة التي كانت تكافح لتعلم اللغة الإنجليزية في سوريا كونها لم تكن جزءاً من مناهجها الدراسية إلى متحدثة طليقة باللغة الإنجليزية

وعلى الرغم من شعورها بالفخر، إلا أن آمنة كانت تعي جيداً الآثار النفسية والاجتماعية التي خلّفتها الحرب في نفسها وفي نفوس غيرها من الأطفال والمراهقين. فقد كان استشهاد والدها قبل شهرين من انتقالها إلى الأردن لحظة فاصلة في حياتها. «لا توجد كلمات تصف ما مررت به من ألم ومعاناة. ما زلت أسمع صوته يردد اسمي وأرى وجهه محفوراً في ذاكرتي، طيفه يرافقني في كل لحظة وأينما حللت وارتحلت... **عندما غادرنا سوريا شعرت أن عالمي بأكمله يتداعى**».

أثّر هذا التغيير المفاجئ كثيراً على شخصية آمنة وقدرتها على الاندماج في محيطها الجديد في الأردن.

وفي عزمها على المضي قدماً وعدم الاستسلام، انضمت آمنة إلى برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية السوريين والأردنيين في المجتمعات المستضيفة» الذي تنفذه هيئة أجيال السلام. واستمر البرنامج حتى شهر أكتوبر ٢٠٢١ وتضمن جلسات داعمة للشباب، حيث اشتمل على اثنتي عشرة جلسة شارك فيها ثلاثون من الشباب الأردنيين واللاجئين السوريين بهدف تعزيز الترابط والحماية الاجتماعيين.

«شعرتُ على مدار الجلسات أنني اكتشفت نفسي مرة أخرى واستعدت احترامي لذاتي، والأهم من ذلك أنني شعرت بالأمان، وقد تنامى شعوري بالانتماء مع كل جلسة، لأشعر أنني جزء من المجتمعين الأردني والسوري».

«أشعر بالفخر الشديد بما أنجزته، وقد سعدت كثيراً بالمشاركة في الجلسات التي عقدها البرنامج، وجعلتني أدرك أهمية التعبير عن رأينا، بالإضافة إلى أهمية التواصل وإعطاء المختلفين عني فرصة». كوّنتْ آمنة صداقات عديدة تعتز بها إلى يومنا هذا.

مع اقتراب حصولها على درجة البكالوريوس وتحدثها الانجليزية بطلاقة، أصبحت آمنة مستعدة لمواجهة أي صعاب تعترض طريقها بعد أن قارعت المستحيل. فقد تحولت إلى إنسانة مرنة ومتحمسة لمستقبلها وأكثر ثقة من أي وقت مضى. «أنا مستعدة لاغتنام أي فرصة متاحة لأتطور». ومثل طائر الفينيق تماماً، تقف آمنة مستعدة لفرد جناحيها والتحليق مجدداً.

معركة داخلية

كانت تعتقد أن الهروب من الحرب الدامية في سوريا بمفردها مع ابنتها البالغة من العمر ستة أشهر ستكون أكثر تجربة مرعبة في حياتها. لكنّها لم تعلم أنها ستحارب في معركة أخرى في المنزل مع زوجها الذي ظنّته أقرب الناس إليها.

بدأت قصة زهرة البالغة من العمر ثلاثين عاماً، بفرارها وحدها مع طفلتها من سوريا إلى أن تم لمّ شملها مع زوجها واستقرّا في مدينة الزرقاء. تملّكها الخوف والقلق من المستقبل، فيما كان الحاضر يعجّ بمشاعر الاغتراب والحنين إلى الوطن. شعرت بسعادة غامرة عندما تم تعيينها كمندوبة مبيعات في متجر للملابس، لكنّ فرحتها لم تدم طويلاً بعدما أدركت أن الكثير قدّم لها بداعي الشفقة باعتبارها لاجئة. «لقد عُرِضَ عليّ المال والمساعدات مرات عديدة من قبل العملاء، ورغم إدراكي أن الأمر نابع من نوايا حسنة إلا أنني لم أستطع تحمّل الأمر». فقادها كبرياؤها لتقديم استقالتها.

مع وجود طفلين والظروف الاقتصادية الصعبة، كافح زوجها للحصول على وظيفة ثابتة، وكان عليه فعل المستحيل ليعيل عائلته، مما دفعه إلى التعامل بعنف وعدوانية معها. فقدت زهرة القدرة على المواجهة نتيجة خوفها منه، وشعرت بالعجز كلما ازداد عنفه معها، وتجاوزت كدماتها الجانب الجسديّ. «شعرت أن روحي قد تحطمت، وبالكاد تمكّنت من ترميم ما دمّرته الحرب في داخلي، لكني وجدت نفسي عالقة في حلقة مفرغة من العنف المستمرّ».

تفاقم العنف في المنزل، وأصبح أشبه بعاصفة عنيفة تدمّر كل ما يعترض طريقها. لكن ذات يوم قررت زهرة أنها لن تتحمل المزيد من الإساءة واستجمعت شجاعتها لتقدم بلاغاً ضد زوجها. وقررت إحدى المنظمات الدولية أن حالة العنف المنزلي هذه قد وصلت إلى المرحلة الرابعة، مما يعني أن حياة زهرة كانت معرضة للخطر.

خضعت زهرة وأطفالها للعلاج النفسي لمدة ثمانية أشهر، وتمكّنت من وضع حد للعنف الأسري الجسدي؛ ومع ذلك، كانت لا تزال خائفة من زوجها لأنه كان لا يزال عدوانيًا في الكلام. استجمعت زهرة ما تبقى من قوتها وقررت المضيّ قدماً على الرغم من معاناتها، ووجدت في التطوع ملاذها الآمن. أصبحت زهرة متدربة في برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» الذي تنفذه هيئة أجيال السلام، وحضرت كل جلسات التوعية وورش العمل التي نظمتها الهيئات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدنيّ، حيث تمت مناقشة العنف المبني على النوع الاجتماعي، مما منحها بريقاً من الأمل في مواجهة واقعها البائس. وصفت زهرة البرنامج بأنه «نقطة تحوّل في حياتها»، وساهمت مناقشات العنف في البرنامج في إدراكها ضرورة وضع حدّ لجميع أشكال العنف في منزلها.

«يُعدّ موضوع العنف من الأمور الحساسة بالنسبة لي كوني إحدى الناجيات. في البداية كان صوتي يرتعش، وقلبي ينقبض كلما ناقشنا هذا الموضوع. لكن مع الوقت، ازدادت ثقتي بنفسي وتمكنت من تأمل تجربتي. منحتني المساحة الآمنة والدعم اللذين وجدتهما في البرنامج إيماناً وثقة بنفسي وبقدراتي. استجمعتُ قوتي في النهاية وتمكنتُ من مواجهة العنف».

وتقول زهرة إنها في اللحظة التي دافعت فيها عن نفسها، منعت زوجها من رفع صوته أو يده عليها. «كنت شغوفة جداً بالموضوع، وأردت زيادة مستوى الوعي حتى لا تضطر أي امرأة إلى خوض نفس التجربة».

قد حان الوقت الآن لهذه الزهرة أن تتفتح، فبعد سيطرة الشعور بالعجز لفترة طويلة، بدأت زهرة تستعيد قوتها. تأثرت زهرة كثيراً بإحدى المشاركات السوريات التي كانت لا تزال تعاني من صدمة الحرب في سوريا، حيث تملّكها قلق شديد ولم تستطع الاختلاط بالأردنيين أو بالذكور بشكل عام. ولذلك، حرصت زهرة على تعزيز مشاركتها في كل

الأنشطة ودفعها للاختلاط مع الأردنيين والذكور منهم خاصةً، لتشهد تغيراً ملحوظاً في شخصيتها وسلوكها. «لقد أصبحتْ من أكثر المشاركين نشاطاً. لطالما اعتقدتُ أنني ضعيفة، لكنني تمكنتُ هنا من مساعدتها وإمدادها بالقوة».

تمكّنت زهرة من إزالة الحواجز بين السوريين والأردنيين، وتعلّق على ذلك بقولها:

«لم أتمكن من تكوين الصداقات مع الأردنيين إلا من خلال البرنامج، على الرغم من إقامتي في الأردن منذ سنوات. شعرتُ بسعادة غامرة عندما رأيت الناس يكسرون الحواجز التي كرّستها الأحكام المسبقة».

اليوم، تمتلك زهرة ثقة أكبر بنفسها كأم وزوجة ومدربة، حيث اكتسبت ما يكفي من المهارات لتبرز في مجالها. عزز شغفها بالحماية والحد من العنف ميزاتها المهنية، فتم اختيارها من قبل منظمة غير حكومية عالمية بعد إحدى جلساتها مع البرنامج، كما اختيرت أيضاً من قبل منظمة أخرى كمدربة متطوعة في مجال العنف المبني على النوع الاجتماعي. والآن زهرة واثقة من أنه لا يوجد معركة لا يمكنها كسبها.

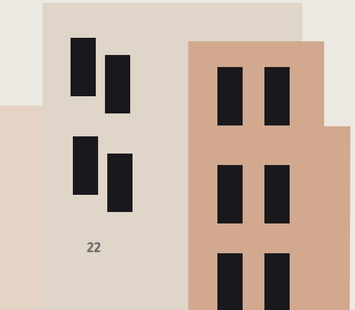

إخلاء المسؤولية: تم تغيير الاسم الحقيقي لشخصية هذه القصة لأسباب تتعلق بالخصوصية.

من عالم الهندسة إلى مفاهيم حماية الطفل

«تزاحمت الطلقات الناريّة وتساقطت الأجسادُ ميتةً من حولنا، كنتُ أدعو الله أن نصل سالمين إلى الأردن».

بهذه العبارة وصف وسام، الشاب البالغ ٢٢عاماً، المشهد الذي رافق ليلة هروبه من سوريا مع مجموعة من الأمّهات والأطفال المذعورين، الأمّهات اللاتي من شدّة خوفهنّ وهَلَعهنّ على أطفالهن، تمنّيْن لو أعادوهنّ إلى أرحامهنّ لحمايتهم من هذه الرحلة المرعبة.

ولكن التحدّيات لم تتوقف بعد الوصول إلى الأردن، حيث كان يجب على وسام البحث عن مأوى مناسب قبل أن يستقرَّ به المطاف في إربد، ويقول عن تلك التجربة: «ظننتُ أنني سأعود إلى أحضان وطني خلال أشهر قليلة». لم تعد الأمور كسابق عهدها، حاول جاهداً التصالح مع الأحداث الأليمة التي قلبت حياته رأساً على عقب. فقد وجد نفسه مغترباً في أعوامه الـ ٢٢ دون مستقبل واضح، أو حتّى بصيص أمل. قبل قدومه إلى الأردن، كان وسام يسعى للحصول على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية إلى أن قرعت الحرب أبواب وطنه. وكحال الكثير من اللاجئين، تحتّم عليه التخلّي عن مسيرته الجامعيّة وكسب قوت يومه. منحتهُ ظروف حياته القوّة والإصرار. وبعد معاناته في الحصول على وظيفة، عملَ في مطعم بمناوبات ليليّة من الرابعة وحتّى الواحدة صباحاً. لم يتخلَّ وسام عن حلمه بأن يصبح مهندساً مدنياً. عملَ لساعات إضافية وادّخر أمواله من أجل استئناف دراسته. «لم يكن أمراً سهلاً، لكن الهندسة المدنية كانت كل ما يشغل ذهني، لم أُرد الاعتماد على أحد لتحقيق حلمي»، هذا ما صرّح به وسام بعد تخرجه من جامعة جرش الأردنية، التي أكمل فيها أعوامه الجامعيّة الثلاث المتبقية.

صُقلت ملامح شخصية وسام بعد إدراكهِ أن حلمه لن يبصر النور، إذ كان عليه التخليّ عن مهنة الهندسة بعد اصطدامه بواقع السوريين في الأردن وقلّة فرص العمل المتاحة، لذلك كرّس نفسه للعمل التطوعيّ آملاً أن يستعيد شغفه. في عام ٢٠١٤، بدأت مسيرته في العمل المجتمعي وتدفقت الفرص من حوله. ويتابع وسام: «كنتُ أجهل كلياً معنى حماية الطفل، كنتُ مهندساً، لم أفهم سوى المعادلات والأرقام، لكنني كنتُ أتعامل مع الأطفال هنا وأتعلم عن ذلك المجال»، الأمر الذي زادهُ إصراراً على اكتساب المعرفة والمهارة فيما يتعلق بحماية الطفل، حيث قرأ كتباً وتعليمات صادرة عن منظمات غير حكومية.

«أردتُ توجيه بوصلتي لأهداف أسمى، إذ شعرتُ كمن وجد رسالته في الحياة، وأردتُ معرفة المزيد عن حماية الطفل».

هذا ما قاله بعد تعمّقه بقضايا حماية الطفل.

تلقّى وسام دروساً تعليمية على الإنترنت، ودفعه السعي لاحتراف التدريب إلى المضي قدماً في مسيرته التطوعيّة. ثم انضم إلى برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة»، المنفذ من قبل هيئة أجيال السلام بهدف التركيز على قضايا حماية حقوق الطفل والعنف المبني على النوع الاجتماعي. كان وسام متشوقاً لاكتساب الخبرة في حلّ هذه النزاعات. وبعد

تلقيه تدريباً شاملاً في السلام وتقييم الاحتياجات المجتمعية لمدّة 3 أشهر، تحفَّز لنقل معرفته إلى بقيّة المشاركين. ويقول في هذا الصدد: «مع المعرفة والقدرات التي اكتسبتُها، اجتاحتني رغبة عارمة لمشاركة تلك الخبرات مع الجميع».

بدأ وسام بتدريب الشباب في مجتمعه، ولاحظ الاهتمام المضطرد للمشاركين، حيث قال: «كان المشاركون شديدي التحفظ في البداية، ولاحت نظرات التردد في أعينهم، لكن مع دخولنا إلى عمق المفاهيم، أصبحوا أكثر اهتماماً. في الأيام الأولى، جلس الذكور والإناث بشكل منفصل في مجموعتين، كانوا خائفين من المناظرة والتحدث معاً»، لاحظ وسام تلك السلوكيات المتأثرة بالعادات والتقاليد المجتمعيّة المحافِظة وتأثيرها النفسي على الأشخاص. وعملَ على كسر الحواجز بين الأردنيين والسوريين، معززاً التماسك الاجتماعي بينهم.

يقول وسام في تجربته مع البرنامج على الصعيد الذاتي:

«سعدتُ برؤيتهم يبنون صداقات مع بعضهم البعض، وشخصياً، عزّز البرنامج ثقتي بنفسي حقاً. لم أظن قط أنني سأتمكن من إدارة الجلسات والتحدث أمام ٧٠ شخصاً، من بينهم أعضاء في البرلمان وشخصيات رفيعة المستوى، ومناقشة مثل هذه المواضيع الحسّاسة والجديّة. كما ساعدني البرنامج في تحسين شخصيتي وتطوير الطريقة التي أتعامل بها مع أطفالي وزوجتي».

أمّا على الصعيد المهني، فقد تابع وسام العمل مع المنظمات غير الحكومية وأعزى ذلك الفضل إلى البرنامج.

عندما يلتقي الشغف بالمعرفة

«أدعمُ حقّ اللاجئين في الحصول على المأوى والاستقلالية والعيش في بيئة آمنة»، بهذه العبارة، شرح أحمد السبب الحقيقي لانضمامه إلى برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعزّزة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة». وكان الشاب، القادم من مدينة البلقاء والبالغ من العمر ٣٥ عاماً وأحد الأعضاء الأساسيين في فريق البرنامج، قد ساهم في تدريب ٣٢ مشاركاً من رؤساء المراكز الشبابية التابعة لوزارة الشباب على القضايا المتعلقة بحماية اللاجئين وأفراد المجتمع المضيف.

يؤمن أحمد بمبدأ المساواة بين جميع أطياف المجتمع بغض النظر عن أجناسهم وانتماءاتهم العرقية. كما يؤكّد على ضرورة منح اللاجئين حقّ العودة إلى أوطانهم إن أمكن ذلك، وقيام المجتمعات المضيفة بكل الخطوات اللازمة لدعم التماسك الاجتماعي، بما يضمن تعزيز الشعور لدى اللاجئين بالاندماج والانتماء. ويرى أحمد بأن أهمية البرنامج تأتي من المنظور الاستراتيجي لهدفه بكل ما يحمله من قيم نبيلة ورؤى

مطلوبة، بل ومُلحّة، خاصةً في بلد مثل الأردن، والذي يُعدّ ثاني أكبر دولة مضيفة للاجئين على مستوى الأفراد، حيث يحتضن أكثر من ٦٨٠ ألف لاجئ من سوريا وحدها.

لطالما شكّل الشغف بترك بصمة إيجابية في المجتمع أحد الدوافع التي قادت أحمد، الحاصل على شهادة البكالوريوس في الإرشاد والصحة النفسية، إلى الاهتمام بقضايا حماية الإنسان، لذلك حاول توسيع نطاق معلوماته في هذا المجال. وقد أبدى، عند انضمامه إلى البرنامج، حماساً هائلاً نحو المعارف والخبرات التي سيتعلّمها خلال تدريبه وآليات نقلها إلى الفئة المستهدفة. ويقول في هذا الصدد: «نجحتُ في اكتساب المهارات الكفيلة بتعزيز قدراتي كمدرّب، وقد وجدت في الموضوعات التي بحثنا فيها نقاطاً جوهريةً ينبغي ترسيخها في مجتمعنا، بل واعتمادها أيضاً في المناهج المدرسية».

تناول أحمد خلال فترة التدريب مواضيع هامة شملت حماية الطفل، والعنف القائم على النوع الاجتماعي، وعمالة الأطفال، وصرّح في إطار شرحه للمهارات التي قدّمتها الدورة، والتي تُعدّ حاسمةً بالنسبة لكل المهتمينّ بقضايا الشباب، خاصةً في المجتمعات المحافظة التي تتعامل مع العنف المنزلي كقضية عائلية لا تتعلق بالمشاكل الاجتماعية:

«اكتشفتُ خلال التدريب بأن كل ما أعرفه حول هذه القضايا لم يكن كافياً، حيث تعلّمتُ الإجراءات والأساليب الصحيحة لمعالجة حالات العنف المنزلي والعنف القائم على النوع الاجتماعي. كما تعلّمنا كيفية تحديد هذه الحالات وآليات التعامل مع كل منها وتقييمها بشكل مختلف».

أجرى أحمد خارطة طريق لجميع المؤسسات التي تقدم خدمات للشباب في محافظة البلقاء، بهدف وضع مسارات عمل فعّالة تمنح جميع مشرفي ومديري مراكز الشباب الآليات اللازمة لصقل مهاراتهم. وتتراوح هذه الخدمات بين الإرشاد النفسي والمساعدة والاستشارات القانونية والمخاوف المتعلقة بالسلامة. وتعمل هذه الخرائط، التي شملت ٥٠ مؤسسة، كدليل إرشادي لخدمات الإحالة الخاصة بالشباب في مجموعة واسعة من المجالات الموضوعية. ويفخر أحمد بإدراج منهج حماية الطفل -والذي تم تدريب موظفي وزارة الشباب عليه - في جميع مراكز الشباب على مستوى البلقاء.

يقول أحمد في إطار تعليقه على الموضوع: «لم أتوقع أن أشهد هذا التغيير المذهل في عقلية المشاركين ومواقفهم تجاه آليات الإحالة وأهمية العمل الجماعي مع المؤسسات المحلية بطريقة أتاحت التعامل مع كل حالة بشكل احترافي». ولاحظ أحمد طيلة فترة التدريب اهتماماً ملفتاً من المشاركين الذين أبدوا مزيداً من التفاعل والأريحية في التعبير عن آرائهم ومقترحاتهم. وقد أدرك أيضاً افتقار المشاركين للمعرفة المعمّقة حول مفهوم الحماية، وهنا تكمن أهمية البرنامج بالنسبة له ولجميع الحضور.

يؤمن أحمد بأهمية رفع منسوب الوعي بقضايا الحماية، وهذا ما عبّر عنه بالقول:

«منحنا البرنامج الكثير من المعلومات ومنطلقات التعليم، وسأبذل قصارى جهدي لنقل هذه المعارف التي اكتسبتها بالتعاون مع زملائي والأهالي في منطقتي لتربية أجيال الأطفال والمراهقين على مبادئ التسامح والقبول والتفاعل مع أطياف المجتمع».

وردة الصحراء

«لم أتصوّر قط أنني سأتلقّى تدريباً على هذا المستوى من الاحترافية حول كيفية التعامل مع حالات العنف الأسري والعنف المبني على النوع الاجتماعي»،

بهذه الكلمات وصف أوس البالغ من العمر ٣٠ عاماً تجربته. أوس عضوٌ أساسيٌ في برنامج هيئة أجيال السلام التابع لوزارة الشباب: «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية السوريين والأردنيين في المجتمعات المستضيفة»؛ كما يتولى منصب رئيس مركز شباب البتراء، وهو حاصل على درجة بكالوريوس في التربية البدنية وماجستير في إدارة الأعمال. وقاده شغفه بتمكين الشباب إلى منصبه الحالي.

اختير أوس كعضو أساسي في الفريق من بين ٢٤ آخرين بناءً على خبرته في العمل مع الشباب وتفانيه في مجال التمكين، وفي حديثه عن تجربته مع التدريب وأهميته بالنسبة له قال: «تلقّينا تدريباً مكثفاً امتد لخمسة أيام حول قضايا الحماية، شمل موضوعات متنوعة، مثل حماية الطفل، وعمالة الأطفال، والعنف المبني على النوع الاجتماعي، وتم تدريبنا على كيفية التعامل مع مثل هذه الحالات. وبصفتي مديراً لمركز الشباب فهذه القضايا مألوفة، وبالتالي فإن تعلم آليات الإحالة المهنية مهم جداً بالنسبة لي». وشمل التدريب حقوق الطفل في القانون الأردني وعرض القوانين والتشريعات المتعلقة بحماية الطفل والمرأة التي لا يعرفها الكثيرون.

«كانت المواضيع التي شملها التدريب وطريقة طرحها مُثرية جداً وجذابة ومفيدة، خاصةً لمن يعمل مع الشباب منّا».

أكمل أوس التدريب وكلّه ثقة بمهاراته التدريبية، واكتسب المعرفة ليصبح مستعداً لنقلها إلى زملائه.

بمجرد أن أصبح أوس في موقع المدرب، درّب ٢٥ من زملائه العاملين في وزارة الشباب. على الرغم من استكمال نصف التدريب تقريباً عبر الإنترنت بسبب جائحة كورونا، إلا أنه وجد طرقاً لجعله فعّالاً ومميزاً ليصبح مثل التدريبات المباشرة. وفيما يتعلق بتجربته كمدرب والأنشطة التي قاموا بها، قال أوس: «كانت إحدى الأنشطة المفيدة والتي شارك فيها المتدربون بحماس، حيث طلبت منهم في التدريب اقتراح آليات لمساعدة ضحايا العنف الأسري ومزايا ومساوئ كل منها»، كان من بين الاقتراحات خط ساخن، وبريد إلكتروني مخصص لمعالجة تلك الحالات، ووضع صناديق في مراكز الشباب والمساجد لينقل الشباب مشاكلهم ويتم التعامل معها بسرية تامة.

بالإضافة لذلك، استضاف أوس مستشاراً محلياً في مجال الصحة النفسية والعقلية أجاب على أسئلة مختلفة تتعلق بتأثير الحماية والبيئة الآمنة على الشباب والنساء بالمقارنة مع الآثار المترتبة على أي شكل من أشكال سوء المعاملة، وعلّق عن هذه الجزئية: «اهتم المشاركون بالمعلومات التي قدّمها المستشار، وأخذ بعضهم رقمه للمزيد من الاستفسارات».

يؤمن أوس بضرورة زيادة الوعي بقضايا الحماية ومكافحة الوصم والتمييز في المجتمعات المحافظة، ويحدثنا عن ذلك قائلاً: «كنتُ أعي جيداً حساسية الموضوعات التي نطرحها، خاصةً في مجتمع محافظ كمجتمعنا. لهذا السبب توخيت الحذر في طريقة الطرح والابتعاد عن استفزاز أو إهانة أي أحد».

وأدرج أوس موضوعات الحماية في الخطة السنوية لمركز شباب البتراء، انطلاقاً من إيمانه بأهمية التوعية بحماية الطفل، وسيتضمن ذلك جلسات توعية شهرية حول مواضيع مختلفة، مثل حماية الطفل، والزواج المبكر، والمرأة في الإسلام، وإساءة معاملة الأطفال.

سلاح المعرفة

عند اختيار أروى كعضوة أساسية في فريق برنامج «تطوير المساحات والممارسات المعزّزة لحماية الأردنيين والسوريين في المجتمعات المستضيفة» تملّكها شعورٌ بالحماس الممزوج بالقلق، لأن مهمة تدريب زملائها الأكبر سنّاً من وزارة الشباب شكّلت تحدياً مخيفاً في نظر تلك الشابة، رغم خبراتها المتراكمة كمدرّبة في العديد من البرامج السابقة. لذلك، وجدت صاحبة الـ ٢٨ عاماً في هذه المهمة فرصةً لخوض تجربة جديدة تتيح لها استكشاف قدراتها الكامنة، وتمنحها فرصةً لتطوير أدواتها بغض النظر عن شعورها بالرهبة.

لم يكن لدى أروى أي معرفة سابقة بقضايا الحماية، ولم تتصوّر حتى أهمية هذه المسألة كضرورة ملحّة ينبغي معالجتها، رغم إدراكها التام بأن البيئة التي نعيش فيها لا تشبه المدن الفاضلة في عوالم الأحلام، وإنما تحفل بالممارسات الوحشية.

تناول البرنامج مفاهيم الحماية على مدى ٥ أيام من التدريب المكثّف، كما تعمّق في تحليل المجالات الخاصة بحماية الطفل، بما في ذلك عمالة الأطفال واستغلالهم، وإساءة معاملتهم، والقوانين والتشريعات ذات الصلة، وإجراءات الإحالة، وتطرّق أيضاً إلى قضية العنف المبني على النوع الاجتماعي. وتقول أروى في هذا الصدد: «لم أستوعب معنى الحماية في البداية، حيث اعتقدت بأن ثقافتنا تتميز بالأمان، ولكني أدركت قيمة الاطلاع على قضايا الحماية وأبعادها المختلفة. وشيئاً فشيئاً، تولّد لديّ اهتمامٌ أكبر بالموضوع وحرصت على معرفة المزيد». وهذا ما أبدته فعلاً من خلال التركيز خلال التدريبات التي لم تفوّت أي لحظة منها. وتتابع أروى:

«أدركتُ بأن مفهوم حماية الطفل لا يقتصر على الآباء والأسر وإنما يشمل الكيان المجتمعي ككل».

وقد ساهمت هذه العقلية في تعزيز الشعور بالمسؤولية لدى المدربة اليافعة تجاه زيادة الوعي بحماية الطفل والعنف المبني على النوع الاجتماعي: «جاءت تلك التجربة في المكان والزمان المناسبين، حيث تم تزويدي بالمعرفة التي أردتُ مشاركتها مع الجميع، بدءاً من زملائي». وهكذا شعرت أروى بأنها مستعدة للانتقال إلى المرحلة الثانية من البرنامج والشروع في تدريب زملائها من وزارة الشباب.

لم تكن بداية التدريب سهلةً على الإطلاق، حيث أظهر المشاركون عدم انسجام مع المحتوى الذي تم طرحه ولم يجد الكثير منهم أي معنى للتعرّف على قضايا الحماية، حيث بدت أعين الكثيرين وكأنها تسأل بسخرية: «هل تريدين تعليمنا كيفية الاعتناء بأطفالنا؟». ولكن أروى تحلّت بالكثير من الصبر لأنها تدرك بأن الجهل بماهية الحماية ومعناها الجوهري هو السبب وراء هذا التفاعل السلبي مع الموضوع.

استغرق التدريب ٨ أيام بحضور ٣٥ مشاركاً، وقد لاحظت أروى تغييراً ملحوظاً في مواقف الحضور منذ اليوم الثاني والثالث، حيث تحوّل المشاركون من حالة التشكيك بجدوى الطرح إلى حالة الاندماج معه، فبدأوا بمناقشة افتراضات مختلفة حول هذه القضية وكيفية التعامل مع كل منها، كما ذكر آخرون أمثلةً شهدوها عن حالات تندرج تحت إساءة معاملة الأطفال. وهكذا، ومن خلال شغفها وتصميمها، تمكّنت أروى من إتمام التدريب وشجّعت المشاركين على الإبلاغ عن حالات إساءة معاملة الأطفال وفق الإجراءات الصحيحة. وقد دفع نجاح هذه التجربة وزارة الشباب إلى العمل من أجل تطوير برنامج حماية الطفل وتعميمه في مراكز الشباب على امتداد المملكة الأردنية.

وتختصر أروى أبرز النقاط المكتسبة من التجربة بالقول:

«تعلّمتُ أنا والمشاركين بأن القانون الأردني يحمي الأطفال وكل من يبلغ عن حالات إساءة المعاملة التي قد يتعرّضون لها. فمن المهم أن يدرك أفراد المجتمع هذه القوانين وأن يتم تثقيف الأطفال حول حقوقهم».

أمّا على الصعيد الشخصي، فقد اكتسبت أروى خبرةً عميقةً في قضايا الحماية وطوّرت مهاراتها كمدرّبة: «أدرك الآن مدى أهمية حماية الطفل كقضية ملحّة ينبغي زيادة الوعي بها». وكانت أروى قد تلقّت الكثير من الدعوات لتنظيم ورش عمل وجلسات توعية خاصة بالسيدات من المجتمعات المضيفة في العديد من مراكز الشباب بمدينة المفرق. وتعتقد أروى أن تزويد الفرد بالمعرفة من شأنه أن يأتي بفوائد مضاعفة تصل في النهاية إلى مجتمع مثقّف لا يتسامح مع قضايا الإساءة أو العنف بأي شكل من الأشكال.

خبيرة المستقبل

كانت إيمان القادمة من قرية الغوير في ريف محافظة الكرك على دراية بالمشكلات التي تحدّ من تطوّر قريتها، وعلى الرغم من كون النظام القبلي السائد في تلك المنطقة هو إحدى المشاكل، إلا أن لهذه المشكلة عواقبها الوخيمة على النساء والأطفال، وقد تضطرهم إلى هجر منازلهم لأيام، بل لأسابيع أحياناً، حمايةً لأنفسهم حتى تَحسم القوانين القبلية الأمور. يعطّل ذلك سير حياة النساء الطبيعية وقد يجبرهن على التغيّب عن العمل ويؤثر سلباً على صحتهن النفسية. تبذل إيمان، التي تركز على تحسين حياة المرأة والطفل، قصارى جهدها لزيادة الوعي بقضايا الحماية وتطوير مجتمعها.

تعمل إيمان، ٤٣ عاماً، رئيسة لمركز شباب قرية الغوير، وهي موظفة لدى وزارة الشباب. اهتمت دوماً بحماية الطفل وشاركت في ورش عديدة حول الموضوع بالإضافة لتطوعها للعمل كمدربة مع عدة منظمات غير حكومية. «كشخص يعمل بشكل وثيق جداً مع الشباب، واجهتُ العديد من القصص وحالات الحماية، سواءً المتعلقة بالأطفال أو المراهقين أو النساء». وكثيراً ما استشار الناس إيمان بشأن كيفية التعامل مع أطفالهم وحمايتهم. من هنا ينبع اهتمام إيمان وشغفها بالحماية، وتُعلّق على ذلك بالقول:

«تشكّل لديّ شعور بالواجب تجاه مجتمعي لتحسينه وحماية النساء والأطفال على نحو أفضل».

لم يكن اختيار إيمان ضمن برنامج هيئة أجيال السلام الذي يؤهل المدربين للعمل في مجال قضايا ومفاهيم الحماية أمراً مفاجئاً بالنسبة لها. ويهدف البرنامج الذي يعمل تحت عنوان «تطوير المساحات والممارسات المعززة لحماية السوريين والأردنيين في المجتمعات المستضيفة» إلى تعزيز الوعي بقضايا الحماية، وتوفير مساحة آمنة للشباب، بالإضافة إلى تعزيز التماسك الاجتماعي بين اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة. وتلقّت إيمان تدريباً مكثفاً استمر لخمسة أيام لتأهيلها كي تدرب أقرانها من وزارة الشباب.

«على الرغم من فهمي وخبرتي وإلمامي بمفاهيم الحماية والواقع المعاش على الأرض، لكنني اكتسبت معرفة كبيرة حول كيفية التعامل مع الحالات بشكل مهني وزيادة الوعي مع مراعاة التنوّع الثقافي».

بعد تعرفها على حقوق الطفل، وجدت إيمان أنه من المهم إفساح المجال أمام الأطفال لاتخاذ القرارات، وهو حق بسيط جداً إلا أنه لم يخطر ببالها أبداً. «علّمتُ زملائي منح الأطفال والمراهقين المساحة ليكونوا على سجيّتهم ويعبروا عن أنفسهم. وتحدثتُ إلى الأمهات حول منح أطفالهن الحقّ في اختيار ملابسهم مما يعزز احترامهم لذاتهم وثقتهم بأنفسهم؛ وبالتالي يعلمهم الوثوق بحدسهم في المواقف التي يشعرون فيها بعدم الأمان». تعتقد إيمان أن هذه التفاصيل الصغيرة تُحدث فرقاً ملحوظاً في تشكُّل شخصية الطفل.

تدرك إيمان أن طريق العمل ما زال طويلاً، إلا أن هذا البرنامج منحها الأمل في مستقبل أفضل بعدما رأت مدى حماس المشاركين المتشوقين للتعلم وتغيير واقعهم نحو الأفضل. وكانت الجلسات تمتد إلى ساعتين أو ثلاث ساعات بعد الوقت المحدد لها للرد على الأسئلة واختتام المناقشات.

«حاولتُ جعل التدريب شاملاً قدر الإمكان، لأقدّم مفهوماً متكاملاً عن معنى الحماية، وغطّيتُ مواضيع مختلفة في إطار الحماية من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً مع إعطاء أمثلة». وعملت إيمان على تعزيز وعي المشاركين بلغة جسد المدرب. ونظراً إلى كونهم سيتعاملون مع المراهقين والأطفال، فتظنّ أنه من المهم تجنّب لمس الطفل أو معانقته ما لم يُبدِ موافقته على ذلك.

وسعياً منها إلى تعزيز التماسك الاجتماعي مع اللاجئين في المجتمع المضيف، أجرت إيمان تمريناً تصفه بأنه: «فعّال لتغيير نظرتنا إلى الأمور»، حيث يُطلب فيه من المشاركين تصوّر أنفسهم مكان اللاجئ وتدوين التحديات التي يواجهونها، قبل تهجيرهم وأثناء طلب اللجوء في بلد آخر وبعد استقرارهم فيه وحتى عند العودة إلى بلادهم. «أحسّستُ بتغير في موقف المشاركين حيث أصبح نقاشهم للمشاكل أكثر تعاطفاً وتفهماً، مما يعزز التماسك الاجتماعي وحماية اللاجئين السوريين وتقليل من حدة السخط الناجم عن سوء الفهم».

تحرص إيمان على توسيع نطاق معرفتها، فتقول: «أنا ممتنة جداً لكوني جزءاً من هذا البرنامج الذي عزز مهاراتي وفَهْمي كمدربة»، وكلها أمل أن تصبح يوماً خبيرة معتمدة في مجال حماية الطفل، إذ تقول:

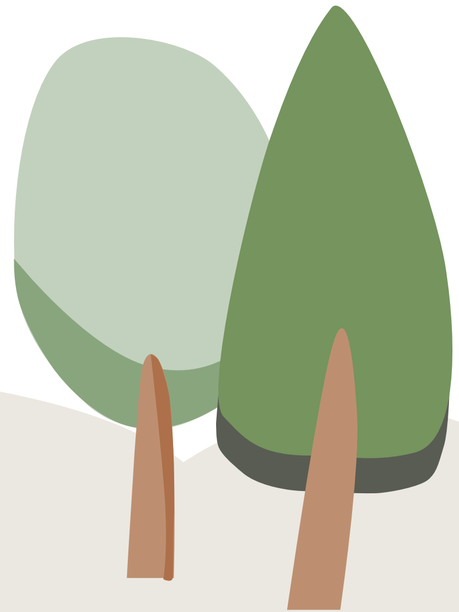

«تملؤني الثقة والأمل في مستقبل أكثر إشراقاً بوجود الآباء المتعلمين والوعي المجتمعي لمفاهيم الحماية».

تم إنتاج هذه المواد بدعم مادي من البرنامج الأوروبي الإقليمي للتنمية والحماية لدعم لبنان، الأردن والعراق (RDPP II) وهو مبادرة أوروبية مشتركة بدعم من جمهورية التشيك، الدنمارك، الاتحاد الأوروبي، إيرلندا وسويسرا. لا تعكس هذه المواد بالضرورة سياسات أو آراء البرنامج الأوروبي الإقليمي للتنمية والحماية أو الجهات المانحة له.